الانكليز ومهاجرهم

من مقالة للشريف ارل(١) مبث

السياحة لاتقتصر على ترويح النفس وتقوية البدن بل تمكّن السائح من مقابلة البلدان التي يسوح فيها ببلاده حتى يرى ما هي متقدمة فيه على بلاده وما هي متاخرة فيه عنها وفي ذلك فوائد جمة اذا اقدم السائح عليه عن روية وحسن طوية . وقد سحت في الولايات المتحدة الاميركية اربع نوبات فدخلتها اول مرة سنة ١٨٦٤ وعدت الآن من سياحة حول الكرة الارضية بعد ان زرت استراليا وزيلندا الجديدة والولايات المتحدة ومرادي ان اذكر ما رايته في هذه البلدان مما فاق به سكانها اهل وطنهم الاصلي ويحسن الاقتداء بهم فيه غير متوخٍ اشباع الكلام على كل موضوع ولا تدقيق البحث فيه بل مقتصراً على ما يراهُ السائح ويشعر به . وقد قسمت الكلام الى تسعة فصول وهي الحكومة . والجرائد . وسكك الحديد . والكهربائية . والمركبات . والمتنزهات . والفنادق . ورجال الشحنة والمطافىء . والمعيشة والاخلاق

الحكومة

الحكومة في هذه البلدان جمهورية قلباً وقالباً لا مثل الجمهوريات الاوروبية التي عنانها بيد الحكام لا بيد الجمهور . فان الشعب الانكليزي هو الحاكم على نفسه في اميركا وكندا واستراليا وهو الحاكم على نفسه في بريطانيا نفسها . والفرق بينها ان بريطانيا ومستعمراتها جمهورية في صيغة الملكية واميركا ملكية انتخابية في صيغة الجمهورية لان سلطة الرئيس في اميركا اوسع من سلطة ملكة الانكليز . واذا اراد الشعب شيئاً في بلاد الانكليز وفي اميركا فنواب الانكليز اسرع اجابةً لمطالب شعبهم من نواب الاميركيين لمطالب شعبهم لان الرئيس في اميركا والوزراء لا يُعزلون مدة اربع سنوات فيحكمون البلاد حسب مشيئتهم اراد ذلك النواب او لم يريدوا

والحرية مطلقة في بريطانيا ومستعمراتها اكثر منها في اميركا فترى في متنزهات لندن جماعات من الشعب كل جماعة منهم تتكلم وتخطب في مواضيع سياسية واجتماعية ودينية مخالفة لرأي الجمهور ولرأي الحكومة ولا رادع ولا مؤاخذ بشرط ان يعلم البوليس ذلك ويمنع ما يعيق سبيل المارّة وما يخلّ بالنظام . اما في اميركا فلا يباح شيء

(١) الارل لقب شرف عند الانكليز يقابل لقب الكونت عند الفرنسويين

من هذا بل اذا تجاسر احد وقطف ورقة من اوراق النبات في المتنزه العمومي بنيويورك عرَّض نفسهُ للغرامة والحبس . وقد مشيت مرةً في سكة المركبات فكاد البوليس يقبض عليَّ ويودعني السجن . ورجال الشرطة يسيرون في الشوارع وعصيهم في ايديهم يلعبون بها ويحسبون انفسهم اسياداً وبقيَّة الناس خدَمًا لهم . ولا يجوز للاشتراكيين ان يرفعوا علمهم في شيكاغو ولا ان يجتمعوا في فيلادلفيا ولو في بيوتهم

واكثر الفرق بين بريطانيا ومهاجرها ماليٌّ لا سياسي فان ارض المهاجر كثيرة الخيرات والناس فيها يربحون ارباحًا طائلة تزيد على نفقاتهم فيذخرون جانبًا منها لشيخوختهم ولذلك تراهم في بسطةٍ من العيش . واحسن العمَّال عمال زيلندا الجديدة فان حكومتها ساعية في القبض على كل موارد الثروة وتقسيم الاعمال على الناس بالسواء حتى لا يبقى بينهم غنيٌّ وفقير . وهذه هي منية الاشتراكيين

ونظام الانتخاب في اميركا يحرم اكثر الاغنياء والوجهاء من السلطة ويتمتع بها بعض الصعاليك لا لان رجال الحكومة في اميركا كلهم من هذا القبيل بل لان كثيرين منهم لا يستحقون ان يُنتخبوا ولا ان ينتخبوا

والشعب ينتخب قضاتهُ في اميركا فيأتي ذلك احيانًا الى فساد القضاء وقلة ثقة الناس بهِ حتى لقد ينتصفون لانفسهم من خصومهم بلا مرافعة كما حدث في مسألة الايطاليين الذين قام عليهم الاميركيون وقتلوهم . وقد ادَّعى البعض ان الشرطة تعجز حينئذٍ عن مقاومة الجمع ولكن هذه الدعوى باطلة لانهُ اذا كان الجمع من السود وقد تسلَّحوا الانتقام من رجل ابيض قتل واحدًا منهم لم يعجز الشرطة عن تفريقهم . وكثيرًا ما يؤخذ البريء بجريرة الاثيم كما ترى في هذه الحادثة وهي منقولة عن اشهر الجرائد الاميركية قالت ان رجلاً اسمهُ كيرو كوبيَّ الاصل كاد الجمع يقتلهُ امس في المحكمة لجريمةٍ اقترفها غيرهُ وذلك ان رجلاً اعتدى على ابنة فظنَّ الجمع ان كيرو هذا هو الذي اعتدى عليها فقبضوا عليهِ واستاقوهُ الى المحكمة والقاضي فيها كوبيُّ الاصل ايضًا . فاستنطقهُ وحكم ببراءته فحسب الجمع انهُ برَّأهُ لانهُ من ابناء جنسه فاوثقوهُ بحبل وكادوا يخنقونهُ لكن جاء رجل وقطع الحبل وانقذهُ منهم فالتجأ الى دار المحكمة فتبعهُ الجمع وربطوا الحبل حول عنقه ثانية وكادوا يخنقونهُ فلمَّا رأى انهُ مقتول لا محالة اعترف باسم الذي اعتدى على الفتاة فنقض القاضي حكمهُ الاول ووضع كيرو في السجن وبلغ المعتدي ذلك فلم يرَ لهُ مناصًا فعمد الى الانتحار وطعن نفسهُ بخنجر في

صدره واقرّ بما جنت يداهُ قبل ان يسلم الروح فعاد القاضي وبرّأ كيرو

ومن الغريب انني لم ارَ ان جرائد اميركا اهتمت بهذه الحادثة اقل اهتمام مع انها لو حدثت في اوربا لجعلتها جرائد اوربا موضوعاً للتهليل والقال لما فيها من الاهانة لشرف القضاء ولشرف الحكومة . ويقتل الاميركيون من السود نحو مئة نفس كل سنة بغير محاكمة حتى اضطرّ السود سكان اميركا ان يجتمعوا ويسترحموا من الحكومة ان تسنّ قانوناً يجبر كل ولاية على محاكمة الجمع الذي يعتدي عليهم لان بعض الولايات لا يعاقب الجمع فوعدهم رئيس الولايات المتحدة ان ينظر في طلبهم ويسعى في انالتهم سؤلهم

الجرائد

الجرائد السياسيّة في اميركا لا تقابَل بجرائد انكلترا لانها مشحونة بوصف الجرائم والحوادث المكدرة وليس فيها شيء من المقالات السياسيّة والتجارية والادبية التي تكون عادةً في الجرائد الاوربيّة وكثيراً ما تكون مشحونة بالسفاسف ولا سيما في الولايات الغربية من اميركا . الاّ ان المجلاّت العلميّة والادبية والدينية في اميركا من الطراز الاول وتمتاز على المجلات الاوربية في جودة ورقها وحسن طبعها واتقان صورها . والجرائد اليومية في استراليا وزيلندا الجديدة احسن من الجرائد اليومية في اميركا وانزه منها عبارةً

مكك الحديد

وسائط السفر في اميركا بالغة غاية الانتظام ولا سيما في الانتقال من قطر الى آخر . والمركبات نفسها كالقصور المشيدة في فخامتها وبهاء اثاثها ولكن ذلك خاصٌّ بالخطوط الكبيرة ولا يشمل الخطوط الصغيرة الفرعية لان المركبات على هذه الخطوط ليس فيها الاّ درجة واحدة والمركبة منها لاربعين راكباً فيضطرُّ الراكب ان يتحمل ما يرضى به الاربعون من الحرّ والبرد باقفال الكوى او فتحها وان لا يتذمر من الغبار ولو ملأ منافس الهواء . وكثيراً ما يكون المقعد قائماً على عمود صغير في وسط المركبة فيضطرب دائماً حتى يصاب الجالس عليه بالدوار كانهُ مسافر في البحر وليس لهُ مسند يسند ظهرهُ اليه فيلاقي منهُ مرَّ العذاب . وزد على ذلك ان الركاب والخدام والحراس يفتحون الابواب ويغلقونها على الدوام فيزعجون من فيها بصريفها . ولا يمكن وضع الصناديق تحت المقاعد لانها قائمة على قضبان من الحديد والرفوف صغيرة وكل رفّ منها لاربعة ركاب . واذا خرج الانسان من المركبة لم يجد مَن يحمل امتعتهُ ولكن سكة الحديد تعطيه قطعة من المعدن وتعلق قطعة مثلها بامتعته فيعطي هذه القطعة لرجل يأخذ لهُ الامتعة الى حيث

شاء تفصله بعد نصف ساعة او ساعة او اكثر

ومركبات سكة الحديد تحمى بالبخار السخن في ايام البرد ولكنها تحمى فوق طاقة الانكليز المسافرين فيها . وفي بعضها اسرّة ينام فيها المسافرون ولكن الرجال والنساء ينامون في المركبة الواحدة وهذا لا ينطبق على قواعد الحشمة عندنا . اما في استراليا فمركبات النوم مقسومة الى قسمين منفصلين واحد للرجال وواحد للنساء . والمركبات في زيلندا الجديدة جامعة للحسن في المركبات الاميركية والاروبية

ويقتل عدد غفير من خدمة سكك الحديد في اميركا كل سنة فان عددهم يبلغ ٧٤٩٣٠١ وقد قتل منهم في السنة الماضية ٢٤٥١ نفساً واصيب ٢٢٣٩٣ نفساً باصابات مختلفة . والسبب الاكبر لكثرة عدد من تدوسهم قطارات سكك الحديد هو قلة وجود الارصفة

الكهربائية

لم تزل بريطانيا متأخرة عن اميركا وبقية المهاجر في استعمال الكهربائية فان النور الكهربائي قد شاع في مدن اميركا والمستعمرات حتى الصغيرة منها فترى الشوارع والبيوت منارةً به وسالمة من مضارّ الغاز . والتلفون منتشر في هذه المدن وفي القرى ايضاً وفي ذلك من الراحة والاقتصاد ما لا يخفى على احد

المركبات

الانتقال في مدن اميركا وبقية المهاجر الانكليزية اسهل منهُ في اوربا واسرع فان المركبات البخارية والكهربائية قد شاعت فيها كثيرًا وهي نظيفة متقنة ولذلك صار يندر استعمال مركبات الخيل حتى قيل عن امرأة انها دخلت مركبة يجرها فرس فالتفتت ولم ترَ آلة كهربائية ولا بخارية فقالت لمن معها ترى باية قوة جديدة تجري المركبة بنا . والماشي في شوارع اميركا لا يعتني بها كثيرًا لقلة الذين يمشون عليها . ولكن ينتقد على المركبات الاميركية انها خالية من كل نظام في عدد ركابها فاذا امتلأت المقاعد وقف بقية الركاب ولم يتذمروا مع انهم يكونون قد دفعوا الاجرة مثل الجالسين على المقاعد . فلو حدث ذلك في بريطانيا لملأت جلبة الجرائد الآفاق برسائل المتذمرين لما في ذلك من التعب على الركاب ولا سيما اذا كانوا نساء او شيوخًا

المتنزهات

المتنزهات العمومية في استراليا ليس اجمل منها في المسكونة والمتنزهات العمومية

في اميركا اكبر منها والفخم الآن منتزهات بريطانيا يتردد عليها الناس اكثر مما يترددون على منتزهات اميركا ولا سيما في غير ايام الآحاد. وليس في اميركا منتزه يقابل بحراج وندسور والبنج لكن ليس في بريطانيا مماش طول الوحد منها خمسة اميال وصفوف الاشجار على جانبيه كما في كثير من مدن اميركا . وفي بعض المنتزهات الاميركية اماكن تسرح فيها الحيوانات البرية بلامعارض كانها في البرارسيه والآجام ويحيط بهذه الاماكن حواجز متينة تمنع خروج هذه الحيوانات منها. ولاننفق كثيراً في منتزهاتنا على الاقفاص الكبيرة لتربية الطيور والاماكن لتناول المنعشات والمواقف لسماع الموسيقى والمقاعد لجلوس الناس كما ينفق الاميركيون على ذلك وعلى كل ما يأول الى راحة الناس في المنتزهات وتسليتهم

الفنادق

فنادق الولايات المتحدة احسن من فنادق بريطانيا ماعدا فنادق لندن وبعض المدن الكبيرة . واكثرها منار بالنور الكهربائي وفيها آلات لرفع الناس من طبقة الى اخرى وغرفها مزخرفة فاخرة الفرش . وكثيراً ما يكون بجانب غرفة النوم حمام للاغتسال . والاجور محددة غالباً وهي من اربعة ريالات الى خمسة في اليوم عن كل نفس . والغالب ان في كل فندق من الفنادق الكبيرة تلغراف وتليفون واماكن لبيع الكتب والجرائد . وفنادق استراليا وكندا تشبه فنادق اميركا واما فنادق زيلندا الجديدة فتشبه فنادق المدن الصغيرة في انكلترا اي انهُ يعتنى فيها بالسيَّاح اكثر مما يعتني بهم في فنادق اميركا ولكنها خالية من ضروب الابهَّة . وفي كل فندق من الفنادق الاميركية رجل اسود لمسح الاحذية فاذا غاب اضطرَّ كل واحد ان يمسح حذاءهُ بيده لان الخدَّام الاميركيين لايتنازلون الى مسح حذاء غيرهم . وقد بلغني ان سائحاً انكليزياً سمع ان الاعمال قلَّت في اميركا وامسى العمال في ضيقة شديدة ورأى فريقاً منهم واقفاً بجانب حائط فدفع ريالين الى من يمسح لهُ حذاءهُ منهم فنظروا اليهِ شزراً ولم يجيبوهُ بكلمة. وعليه ان يعد نفسهُ سعيداً لانهم لم يزقوا لهُ

ويحمي الاميركيون فنادقهم بالبخار كما يحمون مركباتهم حتى تبلغ حرارتها درجة لا يطيقها الانكليز . والاسرَّة تطوى في بعض الفنادق فتنتصب بجانب الحائط كانها خزائن او موائد فتتسع الحجر بذلك . ويوضع في الحجرة جرس كهربائي لايقاظ النائم في الساعة التي يريدها فاذا اخذ يدق لم يكف عن الدق حتى يقوم النائم من سريرهِ ويوقفهُ بيده .

وهو اسلوب حسن للذين يستيقظون اذا ايقظتهم ثمَّ يتمطون وينامون ثانيةً . وفي سقف الحجرة كرة فيها زئبق حتى اذا اضطرمت النار فيها تمدَّد البخار واوصل مجرًى كهربائياً فيدق جرس كبير في وسط الفندق معلناً اضطرام النار في تلك الحجرة فيبادر المطنئون الى اطفائها . ورايت في فندق بنيويورك آلة كالساعة مكتوب على دائرها كل ما يحتاج اليه الانسان وهو في الفندق كالماء والنور والقهوة وما اشبه . فاذا ادرت العقرب ووضعته على شيء تريدهُ وصل الخبر بالكهربائية الى دار المدير واتاك الخادم بالشيء الذي تريدهُ حالاً كأن غلاء الاعمال في اميركا ربَّى في الاميركيين ملكة الاختراع حتى يستعيضوا بالآلات عن اعمال الانسان . ولكنهم اخترعوا اختراعاً لا احب ان يشيع في فنادقنا وهو السكين المفضض النصل فانهُ لا يقطع اللحم وقت الاكل فيضطرُّ الآكل ان يجهد قوتهُ او يترك اكل اللحم او ياكلهُ قطعاً كبيرة تخنقهُ . والاميركيون يفضلونهُ على غيرهِ لانهُ لا يحتاج الى التنظيف وما هذهِ الفائدة سوى مضرَّة لدى الذين ياكلون بهِ

رجال الشحنة والمطافىء

في مدن اميركا الكبيرة نظام حسن للشحنة (البوليس) يحسن اتباعهُ في غيرها من البلدان فان في الشوارع قناديل قائمة وفي كل قنديل منها خزانة مقفلة مع كل رجل من رجال البوليس مفتاح يفتحها وفيها تليفون متصل بدار عموم البوليس . وفي كل مراكز البوليس مركبات لاطفاء النار وخيولها بجانبها ومركبات لجلب الجرحى فيها رجال تعلموا ما يلزم عملهُ للجريح . فاذا بلغ احد رجال البوليس ان النار شبت في مكان فليس عليه الاَّ ان يبادر الى اقرب قنديل ويفتحهُ ويخاطب مركز البوليس وفي اقل من اثنتي عشرة ثانية تخرج مركبة الاطفاء وتسرع الى اطفاء النار

واذا وقع احد او اصيب بعارض بادر احد رجال البوليس الى التليفون واخبر مركز البوليس بذلك فتأتيه حالاً مركبة تحمل الجريح . واذا رأى احد الجناة وعجز عن القبض عليهِ وحدهُ بادر الى التليفون الذي بجانبهِ واخبر مركز البوليس فيأتيهِ عدد كاف من رجال البوليس للقبض عليه وهلمَّ جرًّا

ويمكن لديوان عموم البوليس ان يخاطب مع كل رجل من رجاله المتفرقين في احياء المدينة وذلك بان يلتفت البوليس من وقت الى آخر الى القنديل الذي بجانبه فاذا رأى علامةً حمراء ظاهرة منهُ علم ان ديوان العموم يريد مخاطبتهُ فيفتح الصندوق

ويسمع ما يقال لهُ وهذه العلامة الحمراء تُبدَّل في الليل بكرة حمراء من زجاج تحيط بالنور فيعلم البوليس ان العموم يريد مخاطبتهُ

واذا سطا لصٌّ على احد البيوت او المخازن او ارتكب احد جناية أُخرى وفرَّ هاربًا ودرى به رجلٌ واحد من رجال البوليس أُرسلت اوصافهُ الى كل رجل من رجال البوليس في بضع دقائق فلا يخرج من المدينة قبلما يُقبض عليهِ

المعيشة والاخلاق

لقد كتب الكتاب كثيرًا عن احوال السكان في استراليا واميركا حتى صار الكلام في ذلك من باب تحصيل الحاصل . ويصعب علينا الحكم فيما اذا كان العمَّال اصلح حالاً في اميركا منهم في استراليا فان العامل هو المتسلِّط في هاتين البلادين ولو لم ينازع في سلطته في استراليا كما ينازَع في اميركا . ولكنهُ مستبد في زيلندا الجديدة اكثر منهُ في كلّ المستعمرات والفرق هناك بين الغني والفقير قليل جدًّا بل يرى السائح كان لا غني في البلاد حتى يصح ان يقال ان زيلندا الجديدة فردوس العمَّال لانهم في بسطة من العيش واجرة الواحد منهم في اليوم من اربعين الى خمسين غرشًا . والفقير انما هو المالك الذي اكلت الارانب مزروعاته وبات على شفا الافلاس او الكاتب الذي يضطر ان ينفق النفقات الكثيرة على طعامهِ ولباسهِ ويشتغل اكثر من العامل الذي جعل ساعات العمل ثماني فقط

والحكومة في زيلندا الجديدة يد العمَّال لانهم هم المنتخبون . وهي اول مرة خرجت ازمَّة الاحكام من يد العظماء والاوساط وسلمت للعمَّال فعسى ان يفلحوا فيها وينجحوا في تدبير شؤون البلاد التي يحتاج تدبيرها الى الرأي اكثر مما يحتاج الى الشجاعة

اما في اميركا فالغنى وافر والفقر مدقع وكلاهما في ازدياد . وقد اغنى كثيرون من الاميركيين بسرعة فائقة وكثيرون استعملوا وسائط غير محللة لاكتساب الغنى ولذلك قلما يكرَم الاغنياء هناك بل كثيرًا ما يُكرهون كراهةً شديدة وقد تملَّك خلق الاستقلال والعنفوان من الاميركيين حتى صار احداثهم لا يحترمون الشيوخ ولا الشعائر الدينية . واكثر اللوم في ذلك على الوالدين الذين ينزعون كرامتهم بايديهم

اخبرني احد خدمة الدين وهو من الشيوخ الذين جاوزوا الثمانين ولهُ مقام عظيم في زيلندا الجديدة لانهُ كان اول من اسَّس المدينة التي هو فيها قال ان فتاة عمرها خمس عشرة سنة تشكَّت منهُ علانيةً لانهُ رآها في السوق ولم يرفع لها برنيطتهُ

ولا يندر ان ترى الاولاد جلوساً في المركبات البخارية والرجال والنساء وقوف بجانبهم . وترى البنات الصغيرات في فنادق الاميركيين بالحلي والحلل من الخواتم والاساور والقلائد والاقراط يمشين كأنهنّ فتيات كاعبات واذا جلسنَ حول مائدة الطعام يتكلمنَ مع الخدم بالامر والنهي كانهنّ امهاتهنّ . ولم تتنفّس كربتي حتى عدت الى الوطن ورأيت اولادنا لابسين لبس الاولاد وسالكين سلوك الاولاد ومعاملين معاملة الاولاد . واذا اطلتَ عليهم من كوة بيتك رايتهم يلعبون لعب الاولاد في الحقول والمروج ويتبع بعضهم بعضاً باصوات الفرح والابتهاج

ولقد اصاب احد الكتّاب اذ قال ان السلطة في اميركا للمستخدم فانك كيف التفتّ ترى المستخدمين يعاملونك معاملة الرئيس للمرؤوس حتى مستخدم البريد الذي يناولك التحرير ينظر اليك نظر المتفضّل . وقد رأيت مرة رجلاً من مستخدمي سكة الحديد دفع احدى السيدات بيده ولما التفتت اليه مذعورة طلب منها تذكرة السفر بالاشارة ولم يتنازل الى الاعتذار ولا الى الكلام . وكثيراً ما كان المستخدم منهم ياخذ مني التذكرة ويراها ثم يضعها في بريطني بين الشريط واللبد كانهُ يستثقل ان تصل يدهُ الى يدي . واذا طلبتَ من خادم شيئاً لم يجبك سلباً ولا ايجاباً فلا تعلم فهم ما تقول او لم يفهم . وكررت الطلب مرةً على خادم فقال لي اذا كررتَ طلبك مرةً اخرى لم آتكَ بشيء

ولكن الاميركيين واهالي المهاجر عموماً متصفون بكرم الضيافة وهم افضل منا كثيراً في ذلك . فحيثما توجه البريطاني وجد من كرم الضيافة عند المتكلمين باللغة الانكليزية ما ينسيه الاهل والخلان ولم يعامل معاملة الغريب بل معاملة القريب المواطن الذي يستحق الضيافة بحق القرابة . فعسى ان لا يُرَى منهُ الاّ كل ما هو جدير بالاكرام الذي يكرم بهِ

وقد رايت ان كل ابناء المهاجر البريطانية يحنون الى وطن اجدادهم ويشعرون كانهم مرتبطون بهِ بروابط متينة وسيظهر حنينهم هذا اذا حدث حادث عظيم دعا اليهِ . وان لمن اعظم ما اسرُّ بهِ ان لي في تلك المهاجر البعيدة التي عمّرها الشعب البريطاني اناساً من اعز الاصدقاء واخلصهم وان اهالي تلك المهاجر سيكون لهم شأن عظيم في مستقبل الايام وتاريخ العمران